الفصل الثامن

النقد والناقد

النقد :

الأدب هو موضوع النقد وميدانه الذي يعمل فيه ...

وأدب أي أمة هو المأثور من بليغ شعرها ونثرها ، والأدب عملية خلق وإبداع ، ومنه ما يسمو صعداً إلى الكمال ، وما يقصُر دون ذلك .

والنقد هو الذي يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، ويميز بين جيده ورديئه . وسواء كان النقد علماً أو فناً فإنه ليس قائماً بذاته ، وإنما هو متصل بالأدب ، يستمد منه وجوده ، ويسير في ظله يرصد خطاه واتجاهاته .

وإذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية المطلقة والتجديد ، واكتشاف آفاق جديدة يحلّق فيها ويعبر عنها ، فإن النقد على العكس من ذلك . إنه محافظ مقيد ، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف ، والحسن والقبح ، وإصدار الأحكام عليها .

ولهذا فالنقد قلما أوحى إلى الأديب بتجارب جديدة ، أو اكتشف له أرضاً وآفاقاً جديدة . وإنما العبقرية الخالقة المبدعة هي التي تتقدم على الطريق كشفاً

وريادة والنقدُ يتبعها ...

والنقد في ذاته قديم قدمَ الإنسان الذي خُلِق نزّاعاً إلى الكمال ، ومن ثَمّ منقاداً بطبعه إلى إدراك ما في الأشياء من وجوه كمالٍ يستريح إليها ووجوه نقص يسعى إلى كمالها .

وإدراك الكمال ليس مقصوراً على مَن سَمتْ عقولهم ومداركهم ، وإنما هو أمر يدركه عامة الناس ، وإن كان ذوو العقول الراجحة بطبيعة الحال أدرى الناس بالكمال ، وأقدرَ مِن غيرهم على بلوغه ، والتمييز بينه وبين النقص .

ومن الناحية التاريخية نرى أن الأدب أسبق إلى الوجود من النقد ، وهذا يعني أن الشاعر الأول قد سبق إلى الوجود الناقدَ الأول ، سواء أكان نقده سلبياً يقف عند تذوق الشعر فحسب ، أم إيجابياً يتجاوز حد التذوق إلى التعبير عن انطباعاته والتعليل لها .

ومن الفروق بين الأدب والنقد أيضاً أن الأدب يتصل بالطبيعة اتصالاً مباشراً ، على حين يراها النقد من خلال الأعمال الأدبية التي ينقدها .

ثم إن الأدب ذاتيٌ من حيث أنه تعبير عما يُحسّه الأديب ، وعما يجيش بصدره من فكرة أو خاطرة أو عاطفة نابعة من تجربته الشخصية أو تجارب الآخرين .

أما النقد فذاتي موضوعي : فهو ذاتي من حيث تأثره بثقافة الناقد وذوقهِ ومزاجهِ ووجهةِ نظره ، وهو موضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات وأصول علمية .

*

وكلمة « النقد » تعنى في مفهومها الدقيق « الحكم » : وهو مفهوم يُلحَظ في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً .

وإذا كان « النقد » هو « الحكم » فإن « الناقد » يُفترَض فيه أنه خبيرٌ لديه مؤهلات خاصة يستطيع بها أن يتبين مزايا وعيوبَ أي عمـــل أدبي وأن يُصدر عليه حكماً .

ولكن عندما نتكلم عن « أدب النقد » فإننا نضمّن هذه العبارة معنى أكثر من الأدب الذي يُصدر « الحكم » وبعبارة أخرى نضمنها الأدب الذي كُتب عن الأدب سواء أكان الموضوع تحليلاً أم تفسيراً أم تقديراً أم كل هذه مجتمعة .

فإذا نظرنا إلى الأدب الإنشائي على أنه تفسير للحيـــاة في صور الأدب المختلفة فإننا ننظر للأدب النقديّ على أنه تفسير لهذا التفسير ولصور الأدب التي ظهر فيها .

وهناك مَن يحملون على النقد وينظرون إليه على أنه وسيط خطِر ، أو على أهون الفروض وسيط مُعوّق .

يقول المتحامل : أريد أن أقرأ المتنبي أو المعري أو البحتري مثلاً ، فلماذا كلُّ الوساطات الكثيرة ؟ لماذا أضيع الوقت في قراءة ما قاله ناقد أو أكثر عن مثل هؤلاء الشعراء ؟ أو ليس من الأنفع أن أتوجه إلى ديوان هذا أو ذاك فأتمتع بقراءته ثم أكوّنَ رأيي الشخصيّ عنه بدل أن أتبنى فيه رأي شخصٍ آخر ، لا أدري مدى صحتهِ أو نزاهتهِ ؟

إن دراسة النقد لا يمكن أن تكون بديلاً عن دراسة المنقود ، بل إنها قـد تحول بيننا وبين الأدب الحقيقي ، وتجعلنا نكتفي بهذا النوع السطحي من المعرفة عن الكتب ومؤلفيها .

ولعل منشأ هذه الاعتراضات وأمثالها هو ما نراه في عصرنا من كثرة كتب النقد التي كادت تطغي على الأعمال الأدبية الإنشائية . ولكنّ مع تسليمنا بهـذه الاعتراضات فإننا لا نستطيع أن ننكر فائدة النقد ، فإن للنقد مكانتَه المشروع ومهمتَه المشروعة .

ومهما يكن هناك من فرق بين الأدب الذي يتناول الحياة مباشرة والأدب الذي يتناول الأدب فإنه فرق صناعي غير أساسي ، لأن الأدب ينتج من أي شيء يهمنا في الحياة .

فالناقد الذي يقوم بتفسير شخصية شاعر أو أديب كبير كما تتضح في عمله الأدبي ، وتفسير هذا العمل من شتى جوانبه كتعبير عن الرجل نفسه ، هذا الناقد يتناول الحياة تناولا حقاً مثلَ الشاعر أو الأديب الذي يضطلع بدراسة أعماله الأدبية سواء بسواء .

ولكن المهم أن نميز بين ضرر النقد وفائدته ، وهذه ليست بالمشكلة الصعبة ، لأننا نستطيع من تجاربنا الشخصية أن ندرك متى يصير النقد معوّقاً أو عوناً لنا .

*

فالنقد يكون معوّقاً وربما خدعة حين نقنع بما قاله ناقد عن كتاب أو ديوان شعر عظيم دون أن نتوجه مباشرة إلى هذا الكتاب أو الديوان فنقرأه بأنفسنا ونفيدَ من أدبه .

وفي عصرنا الحاضر الذي يتسم بالسرعة في كل شيء تشيع الدراسات الأدبية والنقدية الموجزة عن روائع الأعمال الأدبية قديماً وحديثاً في الشرق والغرب . والتي تعطينا صورة عن أصحاب هذه الروائع وأفكارهم ونزعاتهم .

فمَن من أهل هذا العصر باستثناء المتخصصين لديهم الوقت أو الصبر لكي يقرءوا مثلاً أعمال الجاحظ أو المعري ؟ وعلى هذا فأيهما أفضل : الا نقرأ الجاحظ أو المعري مطلقاً أم أن نتعرف إليهما وإلى أدبهما عن طريق الدراسات الأدبية والنقدية الموجزة ؟ لا ريب أن المرء يفضل أن يعرف عنهما شيئاً عن طريق الدراسة الموجزة على الا يعرف عنهما شيئاً مطلقاً .

وإلى جانب الأدباء العظماء هناك أدباء آخرون أقلُّ منهم عظمة وشهرة ، وفي الأعمال الأدبية لبعض هؤلاء ما تستحق بدورها الفحص والدراسة ، ولكنْ يحول دون ذلك قِصَرُ الحياة وقلةُ وقت الفراغ التي لا تسمح لنا بقراءتها . ولهذا يكون من المستحسن أن نحصل على معرفة موجزة بهم عن طريق ما كتبه الآخرون عنهم .

من كل ذلك نرى وجه التحامل فيمن يطالبنا بعدم الاعتماد على وسطاء من نقاد وباحثين في معرفتنا بالكتب ومؤلفيها . ومع ذلك فلا ينبغي أن ننساق مع هذا الاتجاه وننسى المبدأ القائل بأن اهتمامنا الأساسيَّ هو الأدب مباشرة وليس بالتفسير النقدي للأدب .

وإذا كان الغرض الأوليُّ للدراسة الأدبية هو تنمية أواصر المعرفة الوثيقة الشخصية بين الدارس وبين الأدب ، فإن الاكتفاء من جانبنا بالكتب التي عن الكتب يُشعرنا بأننا لا نحقق هذا الغرض تحقيقاً كافياً .

والحق أنه ليس هناك شيء يعدل الاتصال المباشر بالكتب القيمة من حيث المتعة واللذة والمزايا الكثيرة التي يحصل عليها القارىء إذا توفر لديه الوقت والرغبة .

ثم إن الاعتماد الدائم على الكتب التي عن الكتب يحمل في ثناياه خطراً آخر يتمثل في أننا نصبح أكثر استعداداً لأن نقبل تفسيرَ شخص آخر عن كتاب وحكمَه عليه ، وهكذا نجد أنفسنا على غير إرادة منا ننظر إلى الكتاب لا من خلال عيوننا الخاصة بل من خلال عينيه ، وإذن فالحسَنُ أو غير الحسن عندنا في كتابٍ ما هو فيما استحسنه أو لم يستحسنه ناقده .

*

ولكن مهما قيل عن ضرر النقد فإن ذلك لا يدعونا لأن ننفض أيدَينا منه

ونصرفَ النظر عنه ، لأن فائدة النقد لدراسة الأدب من الأمور التي لا يمكن أن تُنكَر أو يختلف فيها اثنان .

فإنكار فائدة النقد هو ادعاءٌ إما بأنه لا يمكن أن يكون هناك أحدٌ أعلمُ وأعقلُ منا ، وإما بأننا لا نستطيع قطُّ أن نستفيد بما لفرد آخر من ثقافة أكثرَ وتجربة أعمقَ وعقل أعظمَ .

ووظيفة النقد الأساسية هي أن ينير سبيل الأدب أمامنا ويُغرينا بالسير فيه ويلفتنا إلى ما فيه من جمال لا نستطيع إدراكه بأنفسنا . إن معايشتنا لأديب أو شاعر كبير في آثاره الأدبية قد تؤثر فينا فتجعلُنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الحياة ، وإنّ معايشتَنا لناقد كبير فيما يكتب عن الأدب قد تؤثر فينا أيضاً فتجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الأدب .

ومهما كان ذكاءُ القارىء وقدرتهُ على فهم الأدب فإنه يظل بحاجة إلى معونة الناقد الذي تهيأت له كل أدوات الناقد الحق. فمن طريق الناقد نستطيع أن نرى ما يكمن في روائع الأدب من صفات القوة والجمال . والناقدُ كثيراً ما يعطينا وجهة نظر جديدة تماماً ، أو يترجمُ إلى تعبير محدد واضح بعضَ إحساساتنا الشائعة المبهمة ، أو يرشدنا إلى جوانبَ غيرِ منظورة فيما نمرُّ به في طريقنا وقد نعرفه معرفة جيدة .

وهكذا يُعلّمنا أن نعود إلى الأدب فنقرأهُ مرة ثانية وثالثة بيقظة أشد، وفهم أشمل وتقدير أعمق ، وكثيراً ما يؤدي إلينا أجلُّ الخدمات حين يتحدّى أفكارَنا ويعارض آراءَنا التي سبق أن حصّلناها من مطالعاتنا .

إنه بمثل هذا الموقف لا يُعلّمنا فحسب ، وإنما يحفزنا أيضاً إلى المقارنة بين آرائه وآرائنا وإلى طول التأمل فيما نقرأ ، وتناوله بعقل حاضر وفطنة ورهافة حسٍّ ، وكلُّ هذا من شأنه أنْ يُكسبنا عمقاً في النظرة وقدرةً على حسن فهم

الأدب والتمتع به .

*

وعلى هدي من هذه النظرة يكون « النقد » من مستلزمات الحياة ، لأنه في كل شأن من شئونها هو الذي يوجّهها ويدفع بها إلى التقدم ، ويساعدها على التخلص من كل ما يضرها ولا ينفعها .

ولهذا يكون من الطبيعي أن نرى النقد يتوجه إلى كل مقومات الحياة العلمية والفنية والاجتماعية والسياسية بقصد الإصلاح والإعانة على الترقي وهداية العاملين في كل هذه المجالات إلى أقوم السبل . هذا عن النقد ...

الناقد وثقافته :

والآن ... ماذا عن الناقد وثقافته ؟

إن علماء العرب قد عرفوا الأدب ثلاث ملكات : ملكة منتجة تتجلى في الشعراء والكتّاب والأدباء والخطباء ، وملكة ناقدة تستطيع أن تتبين مواضع الجمال في الأعمال الأدبية ، وملكة متذوقة تدرك بنفسها أو بواسطة الناقد ما في النصوص الأدبية من حسن وجمال ، وتلتذ بما تدركه من مظاهر هذا الحسن والجمال .

كذلك عرفوا أن الناقد لا بد أن يكون ذا طبع موهوب ، حتى يستطيع أن يبين للناس ما أدركه هو من أسباب الجمال في الأدب . وإلى جانب ذلك أدركوا أن الناقد في حاجة إلى قدر من الذكاء عبّروا عنه بحدّة القريحة .

ولم يقتصر علماء العرب على الاعتداد بالطبع والذكاء وحدهما في الناقد ، بل رأوا ضرورياً له أن يضيف إلى ذلك ثقافة واسعة لا تقف عند شيء بعينه ، بل تتطلب الإلمام بجملة من الثقافات .

وكان الجاحظ يرى أن رُواة الكتّاب وحُذّاق الشعر هم أقدرُ من غيرهم على تذوق الشعر ونقده لتنوع ثقافتهم .

وفي ذلك يقول : «ولم أرَ غاية النحويين الاّ كلّ شعر فيه إعراب ، ولم أرَ غايةَ رُواة الأشعار الاّ كلّ شعر فيه غريبٌ أو معنى صعبٌ يحتاج إلى استخراج ، ولم أرَ غايةَ رُواةِ الأخبار الاّ كلّ شعر فيه الشاهد والمثل .

ورأيتَ عامّتَهم ـ فقد طالت مشاهدتي لهم ـ لا يقفون الاّ على الألفاظ المتخيَّرة ، والمعاني المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك الجيد ، وعلى كلّ كلام له ماءٌ ورونق ، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتْها وأصلحتها من الفساد القديم ، وفتحت للسان بابَ البلاغة ، ودلّتِ الأقلام على مدافن الألفاظ ، وأشارتِ إلى حِسان المعاني . ورأيتُ البَصَرَ بهذا الجوهر من الكلام في رُواة الكتّاب أعمّ ، وعلى ألسنة حُذّاق الشعر أظهر [1] » .

فمعرفة النحو وحدَه، أو غريبِ الشعر وحده، أو المستغلقِ من معانيه وحده أو الشعرِ الذي يتضمن الشاهد أو المثل وحده لا يكفي عند الجاحظ ، وإنما كان عامة الرواة الذين يتمتعون بثقافة منوعة وكذلك حُذّاق الشعر ، هم أهل العلم بالشعر وأحق الناس بتقديره ونقده في رأي الجاحظ .

وإذا كان الأديب المنتج في حاجة قصوى إلى الرواية واللغة ، فالناقد كذلك في حاجة إليهما كي لا يخطىء في معرفة الكلمة التي نطق بها الشعر ، وحينئذ يكون نقده من الناحية اللغوية صحيحاً لا خطأ فيه .

وإلى جانب ذلك يحتاج الناقد إلى معايشة الأدب وكثرة مدارسته لأن ذلك يُعينه على العلم بالأدب وتقدير الشعر . يقول ابن سلام : « إن كثرة المدارسة

---

(١) البيان والتبيين : ج ٤ ص ٢٤

تعين على العلم [1] » .

وقال ابن سلام أيضاً : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم . والصناعاتُ منها ما تَثقفه العين ، ومنها ما تَثقفه الأذن ، ومنها ما تَثقفه اليد ، ومنها ما يَثقفه اللسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوتُ لا يُعرَف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبصره [2] . ومن ذلك الجهبذةُ [3] بالدينار والدرهم ، لا تُعرَف جودتُها بلون ولا مَسٍّ ولا طِراز [4] ولا حِسّ ولا صفة ، ويعرفها الناقد عند المعاينة ، فيعرف بَهْرَجها [5] وزائِفَها وسَتوقها [6] ومُفرَّغَها [7] . ومنه البَصَرُ بغريب النخلِ ، والبَصَرُ بأنواع المتاع وضروبِه واختلافِ بلاده ، وتشابهِ لونه ومَسِّه وذَرْعِه ، حتى يضافَ كل صِنف منها إلى البلد الذي خرج منه [8] » .

فابن سلام الجُمَحي يريد بهذا الكلام أن الناقد الذي يبغي التمييز بين جيد الأدب ورديئه يحتاج إلى تَمرُّسٍ بالأدب ومخالطة له حتى يصبح بصيراً بأموره ، مدركاً للفروق بين الجيد والأجود ، وبين القوي والضعيف ، مثلُه في ذلك مثلُ أصحاب الصناعات الأخرى ، فإنهم في حاجة ماسة إلى مخالطة موضوع صناعاتهم ، حتى يصبحوا أهلاً للحكم ، ويصبحَ قولُهم حجةً فيما يحكمون عليه .

فعلماء العرب لا يسمحون لمن لم تتوافر له هذه الصفات أن يُصدر حكماً ، وإن فعلَ فإنه لا يكون لحكمه قيمةٌ عند الناس . قال قائل لِخَلَف الأحمر : « إذا سمعتُ أنا بالشعر واستحسنتُه فما أُبالي ما قلتَ فيه أنت وأصحابُك » ، فقال له : إذا أخذتَ أنت درهماً فاستحسنتَه فقال لك الصرّاف إنه رديء ، هل ينفعك استحسانُك له ؟ » [9] .

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام : ص ٣ (٢) يبصره : يعرفه ويدرك حقيقته .
(٣) الجهبذة هنا : نقد الزيوف والصحاح من الدنانير والدراهم (٤) الطراز هنا : الصوغ
(٥) البهرج : الرديء (٦) سَتوق : يقال درهم سَتوق : أي درهم زيف بهرج لا خير فيه .
(٧) المفرغ : المصمَت المصبوب في قالب ليس بمضروب (٨) طبقات الشعراء لابن سلام : ص ٣
(٩) طبقات الشعراء : ص ٤

وهكذا كان علماء العرب يرون أن النقد ملكة أو طبع أو استعداد لا بُدّ منه للناقد ، كما لا بُدّ له من حِدّة قريحة أو ذكاء يستطيع به أن يحللَ العمل الأدبي ، ومن ثقافة تمُدّه هذا الذكاء بأسباب الحكم ، ومن معايشة للنصوص الأدبية يستطيع بعدها أن يضع كل نص في مكانه من مراتب الجودة والإبداع . وليس من فَرْقٍ في ذلك بين القُدامَى والمحدَثين من النقاد إلا أن المحدثين ربما كانوا في الدعوة إلى توسيع ثقافة الناقد وتنوعها أكثر إلحاحاً .

والحق أن الناقد الحقّ يجب أن يكون ذهنه يقِظاً مَرِناً ، وأن يكون حادّ النظرة ، سريع الاستجابة لكل التأثيرات ، قويّ الفهم للأساسيات .

وفوق ذلك يجب أن يكون قادراً على أن يرى الشيء كما هو في الحقيقة ، وأن يكون متجرداً تماماً عن كل ميل من أي نوع : ميل الأذواق الفردية ، وميل الثقافة ، وميل العقيدة والطائفية والحزب والطبقة والأمة .

ومن اللازم أن يكون لنـــاقد الأدب تثقيفٌ خاص ، ويُقصَد بالتثقيف تحصيل المعرفة وتهذيب العقل معاً . فالناقد يحتاج إلى المعرفة لتعطيه سعـــة النظرة ولتكون أساساً صالحاً لحكمه .

وهو يحتاج إلى تهذيب العقل ليجعل هذه المعرفة قابلةً لأن يُنتَفَع بها ، وإنّ مقدار صلاحيته كمفسِّر وحاكم ليتناسب مع معرفته وتهذيبه . فإذا فقد الناقـد المعرفـة والتهذيب فإن آراءه مهما تكن مقبولة وموحية فإنها تكون قليلة القيمة .

هذه هي أهم صفات الناقد الحق ، ولكن ما أقل النقاد الذين تتوافر فيهم كل هذه الصفات ، أو الذين توافرت فيهم والتزموا بها في نقدهم . نقول ذلك لأننا نرى « وليم هازلت » أحدَ نقادِ الإنجليز في القرن التاسع عشر يتحدث عن بعض عيوب النقاد في عصره .

يقول هازلت : « والنّاقد في عصرنا لا يفعل شيئاً إذا لم يمزق أكثر التعابير

وضوحاً إلى ألف معنى. وغرضُه ليس في الحقيقة مراعاةَ العدل مع المنقود الذي لا يعامله باحترام ، وإنما الغرض الأول عنده أن يُثنِيَ على نفسه وأن يُبيِّنَ مقدارَ معرفته بكل أصول النقد وموضوعاته .

وإذا عاد في النهاية إلى موضوع النقد ، فإنه لا يفعل ذلك إلاّ بعد أن يكون قد استنفد ذخيرتَه من المعرفة في الحديث عن نفسه أولاً وقبل أن يعرض بالنقد لمن يريد أن يتكلم عنه والذي يأتي عنده في الدرجة الثانية بعد نفسه !

وكثيرٌ من النقاد لا يَرَوْن في الأعمال الأدبية التي ينقدونها إلاّ كل جمال وكمال ، وكثير غيرهم لا يرون فيما ينقدون إلاّ كلَّ قبح ونقص .. ! ومنهم من يلتقط « لفظة » في جملة أو « جملة » في كتاب ثم يخبرك بأن المنقود قد أخطأ استعمالها [1] .

وظيفة النقد وغايته :

إن الكلام عن مناهج النقد الأدبي يقتضي أولاً تحديدَ وظيفةَ النقد الأدبي وغايتَه . وكل تحديد أو تعريف في هذا المجال لا يُفترَض فيه أن يكون جامعاً مانعاً كما هو الشأن بالنسبة للقواعد العلمية البحتة ، لأن التحديد الجامع المانع أمر مناف لطبيعة الأدب المرنة .

والغرض من تحديد وظيفةِ النقد وغايتهِ هو تحديدُ الدور الذي يقوم به النقد وتحديدُ الهدف الذي يرمي إليه في توضيح الاتجاهات الأدبية وإبرازِ السّمات التي تميز بعض هذه الاتجاهات من بعض على قدر الإمكان . وهذه يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) تقدير العمل الأدبي من الناحية الفنية ، وبيانُ قيمته « الموضوعية » قدرَ

---

(١) W. Hazlitt : Table - Talk p . 214 - 226

المستطاع ، لأن « الذاتية » في تقدير العمل الأدبي هي أساس « الموضوعية » .

نقول ذلك لأنه ليس من السهل على الناقد أثناء نقده لأي عمل أدبي أن يتجرد من ذوقه الخاص وميوله النفسية واستجاباته الذاتية لهـذا العمل . فكل هذه العوامل من شأنها أن تجعل عمليةَ نقدِ أي عمل أدبي قضيةَ تفاعل بين هذا العمل وشعور الناقد . وهذ هو ما يسمونه « الذاتية » في النقد .

ولكنْ في استطاعة الناقد ضمن هذه الحدود أن يتخذ من « ذاتيته » هـذه أساساً لحُكْم « موضوعي » ، وذلك بأن يلاحظ طبيعةَ العمل الأدبي الذي يَعرِض له بالنقدِ ، وطرائقَ تناوله والسيرِ فيه ، وقيَمه الشعوريةَ والتعبيرية ، والأدواتِ المتاحةَ له .

فكل هذه الوسائل كفيلةٌ بأن تنبهه إلى محاولة الخروج من تأثره الشعوري المبهم ، وإلى ضرورة إشراك الآخرين معه في الأسباب التي يبنى عليها حكمَه . وبذلك يخرج من دائرة «ذاتيته» القائمة على الشعور المبهم إلى دائرة «الموضوعية» العامة المعتمدة على عناصر كامنة في العمل الأدبي .

(٢) تعيينُ مكان العمل الأدبي في مجاله الخاص ، أي في عـــالم الأدب الذي ينتمي إليه. فتقديرُ العملِ الأدبي من الناحية الفنية يقتضي أن يعرف الناقد مكانه من الأدب ، وأن يحدد مقدار ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته بصفة خاصة ، وفي عالم الأدب كله بصفة عامة .

كذلك يتطلب العمل الأدبي من الناقد أن يتبيّن : أهو نموذج جديـــد أم تكرارٌ لنماذجَ سابقة مع شيء من التجديد ؟ ثم أما فيه من جديد يؤهله للبقاء أم هو فضلةٌ لا تضيف إلى التراث الأدبيّ أي شيء؟ فهذه القيمةُ الفنية ونظائرها تضاف إلى قيمة العمل الأدبي في ذاته ، كما تضاف إلى صاحب العمل عند الحكم

على قيمته الكاملة .

(٣) تحديدُ مدى تأثر العمل الأدبي بالبيئة التي ظهر فيها ومدى تأثيره فيها. وهذا جانب من جوانب التقدير الكامل للعمل الأدبي من الناحيـــة الفنية والناحية التاريخية أيضاً .

وإذا كان الأدبُ ابنَ بيئته ، فإنه يكون من المهم عند التقدير أن يعرف الناقدُ ماذا أخذ العملُ الأدبي من بيئته وماذا أعطى لها ، إذْ على معرفة ذلك يتحدد مدى ما فيه من إبداع ومن استجابة للبيئة .

وتحديدُ مدى تأثر العمل الأدبي ببيئته أمرٌ مستطاع إذا توافرت المعلومات والدراسات للظروف والأوضاع التي سبقتْ وأحاطت عملاً أدبياً معيناً .

هذا عن مدى تأثر العمل الأدبي بالبيئة ، أما عن مدى تأثيره فيهـــا فمن السهل معرفته إذا كان هذا العمل الأدبي قديماً مضى عليه من الزمن مـــا يكفي للحكم عليه .

أما بالقياس إلى الأعمال الأدبية المعاصرة فتحديدُ تأثيراتهـــا في بيئتها أمر متروك للمستقبل . وكل ما يمكن أن يعمله الناقد هنا هو أن يُقدِّرَ العملَ الأدبي المعاصر من ناحية طبيعته الفنية ، ومن ناحية الجديد الذي أضافـه إلى التراث الأدبي ، ومن ناحية البيئة . وهذا كـــله سيكون جزءاً من الحكم التاريخيّ فيما بعـد .

(٤) التعرفُ إلى سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله، وإلى خصائصه الشعورية والتعبيرية ، وكشفُ العوامل النفسية التي تضافرتْ على إنتـاج أعماله الأدبية ووجّهتها وجهة معينة خاصة .

فإذا عرفنا وظيفة النقد وغايته في هذه الحدود التقريبية ، أمكن أن نعيّن

مناهج النقد التي تكفل تحقيق غايته .

ولكنْ قبل الكلام عن مناهج النقد الأدبي تجدر الإشارة إلى أن الحدود الفاصلة بين هذه المناهج وطرائقها أمرٌ غير مستطاع ، وأن المناهج مجتمعةً هي التي تكفل للناقد صحة الحكم على الأعمال الأدبية وتقديرَها تقديراً كاملاً .

وإيثار منهج على منهج لا يكون إلاّ في الموضوع الذي يكون فيه أحدهما أجدى من الآخر . وهذا يعني أنه لا محل للمفاضلة المطلقة الحاسمة بين هذه المناهج ...